بحثا عن حسن السمراء "جدلية الانتماء والاغتراب في النص الروائي الإفريقي دراسة في نماذج مختارة"

The dialectic of belonging and alienation In the African novelist text, a study in selected models.

د. ابتسام بوطي *

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر	

الملخص:

شكل الأدب الإفريقي منذ بداياته الأولى حيزا مجهولا ومغيبا لنا نحن سكان إفريقيا، على الرغم من الانتماء الجغرافي المشترك إلى القارة السمراء، وقد استطاعت القوى الاستعمارية فصل شمال إفريقيا عن جنوبها ما أدى إلى انغلاق الفرد الإفريقي عن ذاته الزنجية محاولا إثبات هويته للآخر الأبيض وقد كانت الصحراء الكبرى الفاصل على الرغم ما كانت تشهده من تبادلات بين الشمال والجنوب، أما عن الأدب الإفريقي فقد عاش قرونا عدة على الاتصال الشفهي لم يدون فيه حتى اليوم إلا القليل بسبب صعوبات الجمع والتدوين لكثرة اللغات المحلية، ومن أهم القضايا التي عرضها أدب السمراء هي الذات والهوية والعرق والانتماء أو ما نسميه بهاجس الانتماء وشعور الاغتراب الذي كان بؤرة الحكي لدى الكاتب الإفريقي ومَثّل الهاجس أو المركز في النصوص الروائية الإفريقية.

تهدف هذه المداخلة إلى دراسة جدلية الانتماء والاغتراب في النص الروائي الإفريقي وتبحث في جمالية وحسن هذا الأدب محاولة تسليط الضوء على جوانبه المظلمة .

كلمات مفتاحية: انتماء- اغتراب- أدب- إفريقي- ثنائية- جدلية- هوية.

Abstract:

African literature, since its early beginnings, despite the common geographical affiliation to the brown continent. The great separator despite the exchanges between the North and the SouthAs for African literature, it lived for several centuries on oral communication, in which little has been written until today due to the difficulties of collecting and transcribing due to the large number of local languages. The African writer represented the obsession or center in African fiction texts.

This intervention aims to study the dialectic of belonging and alienation in the African novelist text and examines the aesthetics and goodness of this literature, an attempt to shed light on its dark sides

Keywords: *Affiliation - alienation - literature - African - duality - dialectic - identity.*

*** *** ***

* جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة (الجزائر) ibtissembouti84@gmail.com

مقدمة:

عانت الشعوب الإفريقية لفترة ليست بالقصيرة من المستعمرات الأوروبية، ما أدى إلى زعزعت بنية المجتمع الإفريقي سياسيا، اقتصاديا، ثقافيا وحتى فكريا، ما أدى إلى انقسام الأفارقة إلى ثلاثة أقسام، أما الأول فهي الفئة المؤيدة والمناصرة للاستعمار وقد حاولت بإلحاح الدخول إلى عالم البيض وخلع الثوب الأسود من عادات وقيم وثقافة زنجية، أما الثاني فهم الأفراد الذين تمسكوا بروح الهوية الوطنية والذات الإفريقية ودافعوا بكل شجاعة عن السمراء وطباعها وتقاليدها، رفضوا المستعمر وتمردوا على كل أساليبه القمعية، أما القسم الثالث فهي الفئة التي وقفت في المنتصف تبهرها حضارة أوروبا ويغريها كل ما هو أبيض لكن تعتريها روح الأصالة الإفريقية ويشدها إحساس الانتماء لهذا الوطن ويتغلب عليها حب الحرية الإنسانية، وقد ضمت هذه الفئة كل فرد يؤرقه الشعور بالاغتراب داخل مجتمعه الزنجي وكلما حاول اقتحام عالم الأوروبيين وتظاهر بأنه فرد أبيض حضاري تملّكه أيضا الشعور بالاغتراب عن هذا العالم، هذا الشعور هو نتيجة حتمية لما كرسته ثنائية المستعمر(عبد/ سيد)، فالشعور بالاغتراب هو من رافق أولئك الذين عايشوا الإنسان الأوروبي إما من أجل اكتساب لقمة العيش أو من أجل الدراسة أو حتى أولئك الذين تجرعوا ألم الفراق عن موطنهم وتشردوا في المنافي، وكان من بين هذه الفئة كتاب وروائيون وحتى شعراء كتبوا عن قسوة الحياة في إفريقيا واستحالتها في بعدهم عنها، وقد عبر كتاب إفريقيا في نصوصهم السردية رغم بساطتها الفنية وسذاجتها في بعض الأحيان عن مشاعرهم المتفاوتة في الانتماء والاغتراب عن إفريقيا السوداء وكان الهاجس الأول لهذا الشعور هو اللون وهو أيضا ما خلفته المستعمرات الأوروبية في فترات بعيدة من الزمن (أبيض/أسود).

جاءت الرواية الإفريقية كسجل عبّر عن روح الوطن وما عاناه الزنوج في مختلف البلدان الإفريقية بسبب اللون الأسود، وكان هاجس الهوية والذات والانتماء محورا أساسيا تدور حوله الروايات الإفريقية ومركزا لمختلف الكتابات السردية ومنبرا يدعوا من خلاله الكتاب الأفارقة إلى إعادة النظر في هذه الرقعة الجغرافية واحترام قاطنيها والاعتراف بكيانها البشري ووجودها الإنساني وفكرها الثقافي.

إشكالية البحث:

- هل حقا يوجد ما يسمى بالأدب الإفريقي؟ ومن مثّله؟

- ما هي أهم القضايا التي عالجها هذا الأدب؟

- ما هو الحوار الحضاري الذي كان قائما في الكتابة الإفريقية؟

- كيف تجلت جدلية الانتماء والاغتراب داخل الكتابة السردية الإفريقية؟

1- أدب إفريقي هوية وطنية :

طالما لعب الكاتب الإفريقي داخل مجتمعه دور السّجل لوقائع المجتمع الإفريقي وقيمه وعاداته المتوارثة جيلا بعد جيل والأحداث الحياتية، لكن الوطن كان دائما المحور والمرتكز، هذه أولى الحقائق التي تواجه دارسي الأدب والثقافة الإفريقية، تختلط الأعراق وتمتزج الجنسيات وتختلف الرؤى وتتباين الأساليب الفنية وتتشابك العقليات والمذاهب الفكرية، وتتفاوت القدرات ولكن الوطن، تاريخه، حاضره، واقعه المعاصر هو دائما الشاغل الرئيسي لدى الكاتب الإفريقي حيث يستمد الكتاب الأفارقة من انتمائهم الوطني مضمون أعمالهم بل وفي بعض الأحيان تكون مشاعر الانتماء للوطن والاغتراب داخله وخارجه من

أهم القضايا التي طرحها الكتاب الأفارقة ولا يزال هذا الهاجس يطرح في الروايات المعاصرة.

إن وطنية الكاتب الإفريقي اليوم لا تتطلب منه تمجيد ماضي إفريقيا والتمرد على الاستعمار السياسي والفكري في صورته القديمة، إنه مطالب الآن بالوقت النقدي في الواقع الإفريقي، إذ أن لكل مرحلة متطلباتها وأن سنوات الإعداد للاستقلال الوطني كانت بحاجة لكتابات تؤكد الذات الوطنية بالإعلاء من شأنها وتمجيد تاريخها، لكن إفريقيا اليوم تطلب من كتابها النهوض بحاضرها وبناء مستقبلها بعيدا عن الصراعات الداخلية، بناء متماسكا يقوم على وحدة وطنية فكرية ثقافية، تؤمن بالذات الزنجية وتحافظ على العرقية الأصلية لهذه المنطقة، وتتقبل اختلافها عن الآخر وتطمح إلى الإعلاء من شأن الأنا في شكلها الماضي والحاضر والقادم .

فالأدب الإفريقي نشأ كتمرد على المضمون الإيديولوجي للاستعمار وكان يعبر بأشكال مختلفة، متضمنا الحرية الوطنية والاستقلال الوطني والتحرر الثقافي والحضاري، ذلك بالبحث دائما في الماضي الإفريقي لتأكيد الجذور الإفريقية واستلهام التراث الشعبي لبناء قاعدة ذاتية متحررة من تكريسات الآخر الأوروبي، هذا ما ينقذ الحاضر الإفريقي ويسموا بالعنصر الزنجي ويثبت مكانته الإنسانية بين شعوب العالم الأبيض.

تميز الأدب الإفريقي بعدد من الخصائص تجلت في النصوص الروائية الإفريقية منذ بداية ظهورها وبدت واضحة المعالم داخل الكتابة السيرية خاصة ويمكن تلخيصها في الآتي:

- ارتباط الأدب الإفريقي بقضايا القارة السمراء مع استنكار الكتاب السيطرة الاستعمارية والدعوة إلى التحرر الوطني والتمسك بالذات الإفريقية والحفاظ على الهوية الوطنية.

- الوضوح والبساطة في التعبير والكتابة الذي يصل إلى حد الشفافية في الأسلوب الفني واللغة وبنية الرواية وحبكة الأحداث، خاصة التي كتبت بالانجليزية والبرتغالية لأنها جاءت مباشرة بمعناها العام والمغزى الرئيسي من الرواية.

- التلقائية في التعبير والاستطراد في السرد، حتى يبدوا الأدب ساذجا بعض الشيء كما في أعمال بعض الكتاب الأفارقة.

إن الكاتب الإفريقي يختار الوطن أولا وهذا الاختيار يتركه في كثير من المرات مشردا في المنافي أو خلف قضبان السجون لكنه تحمل عناء هذه القضية وعزم على إيصال الصوت الإفريقي حتى يدرك مبتغاه أو يحل عليه ما حل بكل الكتاب الذين رفعوا راية الوطن والدفاع عن الأنا الزنجية مقابل الأبيض الأوروبي، ربما طبيعة المتغيرات الاقتصادية والسياسية لإفريقيا جعلت من الصعب أن يعبر الكاتب عن همومه الفردية، لأن أكثر همومه إلحاحا هي ما يلح على الجماعة من هموم وهو في قول الكاتب النيجيري "وولي سوينكا": "إن الكاتب الإفريقي هو من الجماعة وأذنها ومعرفتها الخاصة وضميرها عليه أن يظل يقظا متمسكا بهذه الصفات التي تمكنه من إعادة النظر في الأمور ما حوله"1

هي إذن مسؤولية تحملها الكاتب الإفريقي لتحرير الوطن من جميع التبعات الاستعمارية أولا، ثم جمع وبناء الثقافة الإفريقية ثانيا، والتأسيس لحضارة زنجية قديمة وطويلة أغفلها التاريخ لأهداف سياسية وثقافية تمثلت اليوم خاصة في استنزاف ثروات القارة واستغلال الإنسان الإفريقي وزرع فيه روح العبودية وعدم التطلع لما أكثر من بلوغ إرضاء الأبيض أو السيد/الاستعماري.

"إن الرواية في غرب إفريقيا نشأت مرتبطة بحركة التحرر الوطني معبرة عنها لأنها اضطلعت

بمهمّات تقديم الصورة الأصلية للواقع الإفريقي والتي تشكل بالضرورة دحضا للصورة الزائفة التي دأب على رسمها الكتاب الأوروبيين وأتباعهم من الأفارقة عن صورة الواقع الإفريقي، تقول الصورة الزائفة أن إفريقيا ليس لها تاريخ ولا ماضٍ حضاري وأن الإنسان الأوروبي هو الذي حمل نور المعرفة إلى هذه القارة المظلمة"2

إن الروايات الإفريقية المكتوبة بالفرنسية أو الانجليزية أو البرتغالية على حد سواء رغم اختلافها في التناول للواقع السياسي بشكل مباشر، إلا أنها تجتمع في تأكيد الذات الوطنية والانتماء، وكان ذلك عبر محاولة الارتباط بالجذور الحضارية الإفريقية والاستفادة من التراث الثقافي الإفريقي وماضي إفريقيا، فقد جاء الكتاب الأفارقة ورفعوا دعوة كتابة واقع إفريقيا وما يعانيه الأفراد داخل أوطانهم بعيدا عن الخيال الذي يؤدي القارئ ويبعده عن الحقيقة أكثر ما يقربه منها ثم يدعونه للتمسك بالعرق الإفريقي والدفاع عن الذات الأصلية لهذه الشعوب .

يقول علي الشدوي في روايته سماء فوق إفريقيا:"عندئذ اكتشفت زيف الأدب، وأدركت كم هو الأدب بعيد عن الحياة، في عالم وهمي لا يعيش فيه الناس مثلما يعيشون، عالم لا يذكرني بالحياة كما هي...فيما أنا أعيش، وفيما هي تجرني، لم أجد الحالة التي تتصالح فيها الكتب والحياة، لأن القراءة عيش في عالم متخيل، بينما الحياة عيش في عالم واقعي"3

وبهذا فإن الكتابة الإفريقية ساهمت بشكل أو بآخر في عملية التحرر الوطني والثقافي لإفريقيا وأسست هذه الكتابات لحضارة أغفلتها الكثير من الكتب وأهملها التاريخ، وكانت العامل الأول لإسماع صوت الإنسان الإفريقي الذي طالما كان يعاني من ويلات المستعمر وقاسى من العبودية على مدى عصور سحيقة، عاشها الزنجي في صمت حتى ألف العبودية وألفته وأنسته أنه إنسان فاعل، يستطيع المساهمة في بناء حضارة إنسانية زاخرة .

2- الحوار الحضاري بين الأنا والآخر:

لقد حاولت الرواية الكولونيالية –حسب نظرة عدد من النقاد- تصوير عالم الجنوب بصورة تفتح شهية عالم الشمال، واختلف في تأويلها بين مدافع عنها ومدّع، ولهذا أظهرت الرواية المابعد كولونيالية شيئا من الاختلال في الحوار الحضاري، وصارت علاقة الأنا بالآخر مبنية على معطيات تاريخية كرست فيها الامبريالية الغربية كل قواها سعيا وراء تحقيق ما نظرت له الفلسفات في اكتساب المكانة الخالصة للسيد والعبد"4 وعلى الرغم من أن كل إمبراطورية تخبر نفسها والعالم أنها على خلاف باقي الإمبراطوريات، وأن لها مهمة أسمى من الذهب والسيطرة، وأنها تسعى إلى تثقيف وتحرير الشعوب إلا أن هذه الشعوب لا تؤمن بها بكل بساطة لأن أفكار هذه الإمبراطوريات هي على نقيض سياساتها في كل الحالات"5.

صورت الرواية الإفريقية مسألة الأنا والآخر في شكلها العرقي كما صورت مسألة الاستعمار بأنها جريمة الإنسان الأبيض ويمكن أن نفهم هذا في قول كاماو ونجوروجي: "نعم إنهم يقولون أن البريطانيين هم الذين قتلوه إلا أن الأمر سيان، سواء البريطانيون أو غيرهم فإن الذين قتلوه هم البيض"6

كما حاول الروائي الإفريقي من خلال نصوصه السردية تصوير معاناته وأبناء جلدته مع مسألة اللون، وجعلها قضية ضربت الإنسانية ومست المسار الحضاري لإفريقيا وعالم الجنوب عامة، وأوضح أن اللون "الأبيض لا يصنع الرجل لأن هناك نوعا من الناس لا يريد لغيره أن يرتفع إلى مصاف أعلى من مصافه بصرف النظر عما إذا كان

أبيض أو أسود، ويريد هؤلاء الناس أن يكونوا وحدهم ينبوع المعرفة" 7.

هذا ما أكده بيتر أبراهمز في روايته (فتى المنجم)"وقد كان نموذج جنوب إفريقيا على ذلك الشكل لا يعترف بالعبقرية السوداء ولا بنخبها، إذ صورت رواية (فتى المنجم) جانبا من ذلك في حادثة سقوط رجل أسود كان مطاردا من طرف الشرطة ومجيء الدكتور ميني الزنجي وصفعه من طرف شرطي دون أن يعبأ من كونه طبيبا"8.

من ضمن ما كرسته المستعمرات الأوروبية هي النظرة الدونية للآخر والإعلاء للأنا الحضارية والتمركز حول الذات الأوروبية وتهميش الآخر الأسود، وهي بين السياسات الفكرية التي انتهجها الأبيض المستعمر ضد الأسود المستضعف"لم تخرج سياسة أوروبا عما نظّرت له الأنثروبولوجيا إزاء النظر إلى الجنوب بما في ذلك القارة السمراء، لتكوين الفارق بين الأنا والآخر، واستحداث مفهومي (الآخرية) و(الاختلاف) أو كتاب اعتبر مونتسكيو **Montesquieu** أن العالم الجغرافي أساس لكل تقدم، ويقرر أن الجنوب هو موطن الكسل بسبب الحرارة وأن الشمال هو موطن العمل بدافع البرودة، وقد خُلقت فيهم الميل إلى السيطرة على الطبيعة بدل عبادتها، ولهذا رأى مونتيسكيو أنه من قدر الشعوب الجنوبية أن تغزوها الشعوب الشمالية وأنه من الطبيعي أن يكون السادة من الشمال والعبيد من الجنوب"9.

كذلك نجد أن غرانت" **Grant** أمعن في تفصيل القول في هذا الاتجاه فركز على العرق والسلالة وركز هاردر على تميز أوروبا فرأى أنها تميزت عن البلدان بالحضارة والتقدم كما يتميز الإنسان عن الحيوان"10

وعندما قامت جمعيات لدراسة الحضارة الإفريقية في أوروبا وأمريكا ونظّمت اليونسكو مؤتمرا دوليا حول الثقافة في إفريقيا عام 1961 زعم أعضاؤه أنه "لا وجود للشخصية الإفريقية، ولو أمكن التسليم بوجودها فإنه لا جدوى من إنعاشها في القرن العشرين الذي يموج بثقافات وحضارات جديدة لا تصمد أمامها الحضارة الإفريقية" 11

وقد صور نجوجي واثيونغو هذا الموقف من خلال مدرس أبيض "كان يؤمن بأن الجيد والممتاز لا يمكن أن يصدر إلا عن الرجل الأبيض، ولذلك فإنه كان يربي النشء على محاكاة مدنية الرجل الأبيض باعتبارها أنها أمل البشرية الوحيدة خاصة أمل الشعوب السوداء، وكان باستمرار ضدّ كافة رجال السياسة الّود الذين يدفعون الناس إلى إظهار عدم رضاهم وسخطهم على حكم الرجل الأبيض ورسالته الحضارية"12

هذا الصراع القائم بين الأبيض والأسود مبني على أسس تاريخية ومرجعيات استعمارية حديثة العهد بالحاضر الذي يعيشه الروائي، كما تعيشه سائر شعوب إفريقيا، هذا ما أكده إدوارد سعيد بقوله: "واقعة حدوث الاستعمار أخذت تعني قدرا يرتب نتائج مديدة أو عبثية غير عادلة سيما بعد تحقيق الاستقلال الوطني، الفقر، التبعية، التخلف، مختلف أعراض السلطة والفساد، فضلا عن المآثر الكبرى في الحرب والتنمية الاقتصادية، هذا المزيج من الخصائص رسم صورة الشعوب المستعمرة التي حررت نفسها في المستوى الأول، لكنها بقيت ضحية ماضيها في مستوى آخر" 13.

الفكرة نفسها يؤكدها ادوارد سعيد حول السياسة الاستعمارية المنتهجة ضد الشعوب المستعمرة "بل تعدى ذلك إلى نفي شعوب بكاملها"14. و"استبعادهم سياسيا واقتصاديا وثقافيا، لتصير بذلك شعوبا هامشية، إما أن تسير على منهج الدول والشعوب المركزية متجاوزة بذلك عاداتها وثقافاتها وكل ما تعلق بهويتها، وإما أن

تحافظ على مقوماتها وسيادتها، وهو ما نراه في (الصوت) لأوكارا، والتي صور فيها الكاتب معاناة الإفريقي بعد مرحلة الاستعمار، وينتهج في ذلك نهجا إنسانيا عالميا، ويحاول أن يوضح بذلك أنها ليست مشكلة تتعلق بإفريقيا بل بكل الدول والأمم التي تعرضت إلى الاستعمار" 15

في سولوغا وهو البلد الذي نفي إليه أوكولو بطل رواية (الصوت) لم يجد ما كان يبحث عنه في بلده الأم أماتو، فهما كانتا تعانيان من المشكلة نفسها، حتى الشعوب مثّلها أوكارا في ركّاب القارب وجعل لذلك تصويرا في غاية الجمال: "لقد تعلم شيئا (تبسم في داخله)، لكن هل في وسع جسدك أن يلمس جسدا آخر، أو في وسع داخلك ألا يلمس داخلا آخر؟... ثم أخذ أوكولو يتفحص العالم وأبناء العالم وهو يبسطون أيديهم وسيقانهم في الكانو(القارب) بغير أيما انسجام، كلّ يحاول أن يجعل داخله –أو داخلها- مطمئنا، وكلّ يحاول أن يكون مرتاحا غير معني بمن يجاوره والنتيجة؟ المنازعات، أما الذين رآهم قد تزحزحوا قليلا أو خلوا مكانهم لآخرين فقد انعصروا وانضغطت أجسادهم حتى لم يعد بوسعها أيّ احتمال أو مقاومة"16

من بين الثنائيات التي صورتها الرواية الإفريقية هي ثنائية (دوني/ فوقي) وثنائية (أبيض/أسود) ولم تقتصر على هذه الثنائيات فحسب، بل إننا نرى دعوة للعرقين الأبيض والأسود بأن يكمل كل واحد منهما الآخر دون أن يستغلا بعضهما، فمسألة التحضير والتحرير هي قضية ومسؤولية الجميع لأن مصير البشرية وبإسهام من جميع الأعراق والألوان والجذور، ووجود الحوار الحضاري في العمل الأدبي إلزامي فهو جزء من مهمة المبدع المثقف الذي لا تثنيه السياسة، والاعتراف بالآخر وتقبله هو جزء من الرسالة البشرية.

هذا ما صوره أبراهامز في نهاية رواية (فتى المنجم) حين كتب كلاما جميلا ولطيفا لزوما بعدما سجن الرجل الأحمر: "إن الأحمر في السجن، ويجب أن أذهب هناك أيضا، سيكون من الخطأ إذا لم أذهب... إنه ليس رجلا أسود ولكنه سيذهب إلى السجن من أجل ناسنا، فكيف لا أستطيع الذهاب؟ هناك أشياء كثيرة أريد أن أقولها أيضا، أريد أن أخبرهم كيف أحسّ، وكيف يحسّ السود"17

"حتى أوكولو في رواية (الصوت) كان يحمل هذا الهم من خلال البحث عن معنى الحياة الذي فقده البيض والسود على السواء"18 وهو أساس التعايش السلمي والسعادة الإنسانية التي تطمح إليها الإنسان منذ الأزل.

إن مسألتي الانتماء والاغتراب طالما كانتا موضوعا طويلا يعيش أحداثه السود عامة والفرد الإفريقي خاصة، لقد كانت هذه المعاناة ولا تزال تتمظهر جليا من خلال إبداعاتهم الفنية وأفكارهم وأساليبهم الحياتية، منهم من سار في تيار ومنهم من سار عكس ذلك آملا في غد جديد يعيد للزنجي منزلته بين الأمم ويعوضه حقه المسلوب، هذا الحق في الشعور بالانتماء إلى هذا العالم الإنساني، وتجاوز كل مشاعر الاغتراب والوحدة لا يأتي بتقديم الجوائز أو المناصب الدولية إنما هو ذلك الاحتواء من خلال الاعتراف بإنسانيته وثقافته وفكره وكينونته، ومنحه الإحساس بالأمان ووجوديته على متن هذه الأرض واحترامه كإنسان عبدا كان أو سيدا، وإعطاءه الحق في إبداء رأيه واتخاذ قراراته ومساهمته في عملية التحضر والتقدم نحو الأمام بجعله مركزا منتميا لا هامشا مغتربا مغيبا.

3- أزمة الانتماء وهاجس الاغتراب:

إن الحديث عن أزمة الانتماء عند الأفارقة نجدها أزمة متجذرة منذ عصور سحيقة، هي فكرة زرعها المستعمر في الشعوب الهشة وكرسها ضمن

أيديولوجيات فكرية ومشاريع ثقافية جعلت من المتلقي الإفريقي يتقبل هذه الدونية، ما جعله يقزم ذاته السوداء ويعلي من شأن الآخر الأبيض بل ويطمح ويحلم أن يصل إلى مرتبة ومركزية الأبيض المدني، فيتخلص من ذلك من الأنا الريفية فقد "أراد الكاتب أبرهامز أن يرفع من شأن الأسود ويحاول أن يوضح أن الأسود هو المسؤول عن شعوره بالدونية، لأن التقاء الزنجي بالأبيض يسبب انهيارا للأنا، وبما أن الملّون لا يكون فعالا، فهو يحاول أن يكون الآخر (الأبيض) لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يثمنه" 19

أراد الشباب السود أن يحلوا محل البيض ويعيشوا حياتهم فانسلخوا من العادات الإفريقية وقيمها وأنكروا انتماءهم العرقي وأصلهم الزنجي وارتباطهم بالوطن و"جعل أبرهامز لذلك نموذج فتاة مثقفة عاشت حياة البيض ولا تزال تطمح إليها 20"

وإن وجود هذه الصفة في رواية أبرهامز هو نتيجة حتمية، ذلك أن البنية السياسية والاجتماعية للأوطان المستعمرة والثقافة المغروسة للشباب بسبب اللون جعل –كما أوردنا سابقا- الشاب الإفريقي يحاول جاهدا الانسلاخ من لونه وحياته البالية ليتقمص دور الأبيض ويتطلع إلى حياة أفضل داخل ثوب البيض

إن أزمة الطموح للحصول على البياض واحتقار الروح السوداء في شخصية إليزا هناك فوقية أكثر قوة في الأبيض أثرت في الأسود ليسعى إلى اكتساب أشياء البيض و"الدونية هي المقابل المحلي للفوقية الأوروبية....إن العرقي هو الذي يصنع الدوني"21 ويكون ذلك "بالإقصاء المتعمد من الذات الأوروبية التي تمثل (المستعمر)، كما هو الحال في الروايتين الكينية (نجوجي واثيونغو) والإفريقية الجنوبية (بيتر أبرهامز) والإفريقية الجنوبية (بيتر أبرهامز) بما في ذلك الرواية النيجيرية (غابرييل أوكارا) حتى وإن كانت تعالج مواضيع ما بعد الاستعمار، فالمستعمر يُفقِر ذاته من خلال التحلي بقيم المستعمر، وهي سمة تتعلق بكون ظاهرة (سحق المستعمر) عنصرا من منظومة القيم الاستعمارية فعندما يتبنى المستعمر هذه القيم هو يتبنى ضمنا إدانته الخاصة" 22.

لهذا نرى "أيام السبت تأتي الشابات من التل وبيريا، وبارك تاون إلى معسكر المالاي، وكن يلبسن ملابس مثل النساء البيض، وإن تكن فقط ذات ألوان أكثر، لأنهن يفضلن الألوان الزاهية"23

4- الرواية الإفريقية عنوان للذات الزنجية:

لعله من المدهش أن تأتي التجارب الأولى في كتابة الرواية باللغات المحلية الإفريقية المكتوبة شرقا وغربا وجنوبا من ظهورها باللغات الأوروبية الأدب الإفريقي، فقد عبر الإفريقي عن روح عصره وما يعتلج فؤاده من خلجات وعواطف وأحداث يعيشها الفرد الإفريقي آملا في حال أفضل

يقول الباحث الناقد أ.ر. داثورني: "الرواية في إفريقيا هي الشكل الفني الأدبي الوحيد الذي دخل عن طريق الاستعارة الخالصة، وفرض –فوق هذا- على تطور النموذج المحلي، فالدراما والشعر – من جهة أخرى- كانا جزءا لا يتجزأ من التراث الإفريقي، وكانا يؤديان وظيفتهما داخل التقاليد الشفهية... ولم تكن مثل هذه الوظيفة متاحة للرواية في المجتمع غير المتعلم، فلم تكن ثمة حاجة تشبعها، وليس من المدهش إذن أن تلقى الرواية الاهتمام الشديد من الأدباء الجدد عند دخول التعليم...ونتج عن المفهوم الأوروبي لها –بعد أن طوره التفسير الإفريقي المحلي- ما يسمى اليوم باسم الرواية الإفريقية وكان تطورها عن طريق الممارسة، ابتداء من التعبير المباشر المسطح الفج إلى التجربة المتقنة"24.

على العكس من ذلك كانت الفرنسية في تجربتها مع الرواية الإفريقية الأسبق من بقية اللغات التي كتب بها الروائيون الأفارقة (الانجليزية والبرتغالية) حيث عبر الأفارقة عن شعورهم المزدوج بالانتماء والاغتراب داخل الوطن الأم وقد "كانت اللغة الفرنسية أسبق اللغات الأوروبية في إنضاج التجربة الروائية والتعبير عند الإفريقيين، "ففي عام 1920م ظهرت رواية إيرادات مالك الثلاث **les trois volontes de Malic**للسنغالي أحمد ماباتيه دياني ومع أن هذه الرواية القصيرة لم تعقبها أخرى لدياني، ومع أنها أيضا ضعيفة من الناحية الفنية، فقيمتها التاريحية باقية، بل إنها أثرت في شاعر قاص من أكبر أدباء الجيل وهو بيراجو ديوب"25

تدور أهم أحداث الرواية عن قصة كفاح البطل الصغير مالك بعد طرده من مدرسة فرنسية وتوجهه إلى مدرسة حرفية تعلم فيها مالك الحدادة ورجع بعدها إلى قريتها ليفتح ورشة ويغتني منها مع مرور الوقت تتعاقب أحداث الرواية حول إرادة وقوة شخصية البطل.

وفي عام 1926 ظهرت رواية من السنغال أيضا بعنوان "قوة الخير **Force-Bont** "لبكري ديالو الذي بدأ حياته راعي ماشية لأبويه الثريين...وبعد حياة مريرة هناك نشر روايته هذه التي تعد أول سيرة ذاتية لإفريقي بالفرنسية، أما من حيث كونها رواية فهي مكتوبة بأسلوب بسيط مليء بالغنائية، والعفوية، في إطار من اليوميات، حول تجربة مؤلفها في الحياة حتى تاريخ نشرها، ومع أنها لا تخلو من الصدق فهي لا تخلو أيضا من الإشادة بفرنسا، وتؤكد تلك السمة التي سيطرت على روايات عصرها، من حيث الإلحاح على رغبة الإفريقي في اقتحام عالم البيض، ولو كان ذلك بمفتاح لغة البيض أنفسهم" 26.

إن هذه الرغبة الملحة للإفريقي في دخول عالم البيض والانتماء إليهم جعلت إحساسه بالاغتراب داخل بلدته يزداد مع كل محاولة في اقتحامه لعالم الآخر المتحفظ حول مركزيته، ثم يتراجع شعوره بالاغتراب ويزداد شعوره بالانتماء كلما فشل هذا الأخير في اختبار الأبيض له وتذكر عرقه وأصله الزنجي وداهمته الذكريات والحنين لإفريقيا وأيام الطفولة وحب الشباب.

"غير أن هذه البداية التي تشي بالانبهار بمآثر الحضارة الغربية، والقوة وتقدم الفرنسيين، وتضع الاعتزاز بالجذور والأصول الإفريقية في المحل الثاني، تبدو أقرب إلى النتيجة الإيجابية لسياسة الدمج الفرنسية، وزعمها (تحضير) الأفارقة وانتشالهم من وهدة التخلف"27

غير أن "النتيجة السلبية لهذه السياسة جعلت الروائيين الإفريقيين في تلك الفترة يتوجهون إلى الكتابة بروح زنجية "ففي عام 1931م، أي بعد عام واحد على ظهور رواية دياني السابقة، فازت في باريس رواية لأحد أبناء جزيرة مارتينيك بجائزة جونكور الأدبية المعروفة، وكانت الرواية بعنوان "باتووالا" للروائي رينيه ماران، ومع أنه لم يكتب سورى رواية أخرى بعدها، بعنوان "جوما" فقد كانت روايته الأولى صفعة لانبهار أبناء جلدته، مثلما كانت أول مظهر لفكرة الزنوجة التي شغلت أبناء جيل ماران، وهم منفيون —مثله- في باريس خلال العقدين التاليين، ولكن مشكلة ماران وإيميه سيزر وغيرهما من أبناء جزر الهند الغربية أنهم ينسبون إلى هذه الجزر النائية في البحر الكاريبي أكثر مما ينسبون إلى إفريقيا، مع أنه نفسه عاش وعمل في إفريقيا سنوات عديدة"28

باتووالا هو بطل الرواية الأولى والذي حملت اسمه، يذهب البطل وأبوه ضحية تحطيم الحياة الريفية لجزيرتهما وتشويه معالمها، ويموتان في

نهاية الرواية، ولكن بعد أن يفضح الابن سياسة الاستعمار الفرنسي التي فضحها المؤلف نفسه علانية في بداية الرواية ومن هذا قول باتووالا "لم يقنعوا في المحل الأول بطمس أعز عاداتنا وتقاليدنا، بل هم لم يهدؤوا حتى فرضوا علنيا عاداتهم وتقاليدهم"29

استمرت عملية تعرية السياسة الاستعمارية الفرنسية هذه في رواية ماران التالية، فبطلها (بيسيبنجوي) يكاد يصرخ وهو يقول لأحد أصدقائه: "إن كون الإنسان زنجيا صنعة تأتي في ذيل جميع الصنائع، وهي ليست صنعة بل عبودية، فهل هزأ السود بلون الرجل الأبيض، هل ازدروا عادات الرجل الأبيض؟ كلا ، بلا شك، فالأسود كان أسود، والأبيض كان أبيض...غير أن البيض هزؤوا بالسود بسبب لون بشرتهم، وبسبب سوادهم صاروا محط التقريع والكره، وكان الأفضل أن يكون المرء أحقر كلب في الغابة، كان الأفضل أن يكون نجوهيلي القرد ذا الشعر الأبيض، أو أوتاجووا القرد البكاء ، أو باكويا الشمبانزي ذا وجه الكلب، ومع أن البيض يزعمون أن الزنوج يشبهون القردة فهم يتركون القردة وشأنها...أما بالنسبة للزنجي...فهل كان ثمة طرق تشق؟ كان على الزنوج أن يشقوها؟ هل كان التجار يحتاجون إلى مطاط؟ كان على الزنوج أن يوفروه...كان على الزنوج أن يدفعوا الضرائب ...الزنوج، في كل مكان، وفي كل زمان، لقد كان الزنجي صالحا لأن يسجن، صالحا لأن تفرض عليه، صالحا لأن يكون دابة من دواب النقل"30

وفي الثلاثينيات ظهر عثمان سوسيه بروايتين مهمتين الأولى بعنوان (كريم) التي نشرت 1935 ونالت الجائزة الأدبية الكبرى لأدباء البحار، وعبر البحار) عام 1948، "وفيها عالج جماعة من شباب السنغال بمدينة سان لوي، القريبة من داكار، وهو يحاولون العودة إلى عادات أجدادهم في بسيل الحصول على حظوة عند محبوباتهم، وداخل هذا الإطار الذي قد يبدو ساذجا يطالعنا كريم بطل الرواية، وهو عامل مسلم يقع في غرام جارته مريم، ويحاول إرضاءها –على طريقة أجداده- بالهدايا، وتوفير مهر عال، ولكن ضيق ذات يده، ووقوعه في الديون، يدفعانه إلى الهجرة إلى داكار، حتى يجمع المهر المناسب الذي يمكنه من التفوق على غريم له تقدم لخطبة مريم، وفي داكار يجد الشباب يستخدمون فرشاة الأسنان، ويقرؤون الكتب الفرنسية، ويرتدون الملابس الأوروبية، ويترددون على المقاهي، فيشعر بأنه غريب... ويحاول أن يقاوم التيار، ولكن مقاومته تضعف، وينساق في تيار الحياة الصاخب، فيسلك كما يسلك الآخرون وينبذ عاداته وتقاليده الريفية، ثم يمرض فجأة بالمالاريا، ويدخل المستشفى، فيفكر في ماضيه، ويستيقظ حسه الديني فيعود إلى قراءة القرآن، ويحلم بالعودة إلى مريم وسان لوي، وحين يبل من مرض، يعود بالفعل، ولكنه يجد خطيب مريم في السجن بسبب كثرة الديون التي وقع فيها، فيتزوجها على الطريقة التقليدية" 31

في عام 1959 جاءت رواية "زنجي في باريس" للروائي دادي في صورة رسالة طويلة لزنجي إفريقي يلقي نظرة غير عاطفية على فرنسا والفرنسيين، ولكن موضوعات هذه النظرة العاقلة تعدد، فبطلها –دادي نفسه بالطبع- ...وينتقد عدم احترام الفرنسيين للسن، وتعلق نسائهم بأدوات التجميل لأنهن "يرفضن الموت" بل هو لا ينسى وسط هذا كله أنه إفريقي، فهو يزور كنيسة نوتردام ثم يعلق بقوله:"إن إلهنا لا يحتاج إلى بيت" ويغمز المسيحيين قائلا: " إن الناس صنعوا من إله السلام إلها للحرب الصليبية" 32

أما في عام 1953م فقد خرج كامارا لاي (1928-1980) برواية "الطفل الأسود" عام 1953م التي نالت بعد نشرها بعام جائزة شارل فييون الأدبية، ثم تلاها لاي برواية "رؤية الملك **le regarde de roi** "والتي بدورها أثارت ضجة كبيرة ومناقشات كثيرة بين النقاد، فداثورني مثلا يفسرها على نحو آخر من النقاد، "فيرى أن مغامرات كلارنس (بطل الرواية) في سبيل لقاء الملك والتماس خدمته تمثل سعي أبطال الحكايات الشعبية —الإفريقية وغيرها- إلى الحصول على عطية ترفع قدرهم عند قبائلهم، وما قبيلة كلارنس إلا القبيلة (البيضاء) التي لا يمكن تخليصها من إثمها إلا بأن تخدم القبيلة (السوداء) عن احترام وتوقير"33

وهذه الخدمة هي العطية التقليدية في الحكايات الشعبية، أصر عليها كلارنس بعد أن فقد كل شيء، ورضى بأن يذل نفسه مقابل أن يصير عضوا في القبيلة السوداء تكفيرا عن إثمه وإثم جنسه في حق السود" 34

ولكن داثورني نفسه يعد رواية "دارموس" أفضل أعمال لاي، ومع أنها تعيدنا إلى رواية لاي الاولى (الطفل الأسود)، التي ضحى فيها بالعناصر الروائية في سبيل زخم المادة السيرية، فهي أقرب إلى معكوس القضية التي طرحتها الرواية الثانية، وبطلها وراويها يدعو فاتومان —كلمة محلية بمعنى الأخ أو الرفيق) يريد أن يصبح عضوا في القبيلة "البيضاء" إذا صح تفسير داثورني المقبول، ولكن شعائر دخوله في تلك القبية أصعب مما وقع لكلارنس، ففاتومان يجيء إلى باريس طالب علم، ولكن باريس تصيبه بالإغماء من فرط الجوع بعد أسابيع قليلة من مجيئه، ومع ذلك يحاول الإقتراب من القبيلة البيضاء، مهما حاول أهلها صده بعاداتهم، وأفكارهم الغريبة، ويقول لنفسه: "إن باريس ليست مدينة فرنسية، وإنما هي مركز عالمي للبشر، ولكن البشر فيها لا يصنفون إلا على أساس علاقاتهم الثقافية العرقية، وكلما ازداد اشتباكه في الحياة الباريسية أدرك مبلغ ما تنطوي عليه من تناقض ومغالطات، ولا سيما إذا تعلق الأمر بالديمقراطية وحق السود في المساواة مع "سادتهم" البيض، "35

"ويدفعه ذلك إلى المزيد من الاحتماء بشخصيته الإفريقية، وجلبابه الإفريقي الذي أصر على ارتدائه حتى في زمهرير الشتاء، وبعد سنوات من محاولة الالتحاق بهذه القبيلة "الظالم أهلها" يعود إلى وطنه للتزود بمقويات الهوية، والزواج من رفيقة طفولته، ولكن سفرته إلى وطنه لا تحل مشكلته، فقد اكتشف أن الوطن تغير، وأن مواطنيه صاروا يتقاتلون على السيارات والأجهزة واللعب الحضارية الأوروبية، بل يكتشف أن أباه — الذي لم يتغير- صار يشك في قيمه الجديدة، ويتهمه بالمروق من رعاية الأرواح الواقية التي ترعى أبناء وطنه، ثم يكرر زيارته لوطنه بعد سنوات أخرى، ولكنه يتبين هذه المرة أن عليه —وسواه من أبناء النخبة الإفريقية- التخلي عن كل شيء في سبيل تأسيس الجوهر الروحي للذات، ذلك الجوهر الذي لا يثبت الإنسان على قدميه بدونه" 36

إن هاجس اللون وهاجس الخوف من سيطرة الآخر والوقوع في مخالبه أفسد حياة كلا من كلارنس وفاتومان معا ومن الواضح أن الصراع الثقافي هنا يأتي من زاوية الأسود الذي يعيش في مجتمع أبيض، والأبيض الذي يحاول الدخول إلى العالم الأسود، وبهذا الصراع الثقافي نخلص إلى أن الحل الأوحد هو التخلص من هذا الهاجس داخل كل الشعوب والألوان والأوطان، و إننا نجد قضية هذا الصراع العصي في روايات الكاتب الكاميروني فرديناند أويونو (ولد عام 1929) ولكن على نحو

مختلف من الفكاهة والسخرية والضحك والبكاء في آن واحد. وقد أصدر روايتين في عام واحد وهما (حياة خادم، الزنجي العجوز والوسام عام 1956) ثم تلاهما برواية (طريق أوربا عام 1960) كما أعلن عن رواية ضخمة (الجحيم) تناول فيها المجتمع الأوروبي من الداخل.

"جاءت رواية أويونو (حياة خادم **Une vie de boy**) في "صورة يوميات لبطلها وراويها جوزيف توندي، حول حياته في الكاميرون، وشقائه، وتجاربه مع الكنيسة والسلطة الاستعمارية، وتنال من خلال اليوميات صور كثيرة مضحكة من تلك الحياة الشاقة، فهو يدخل المسيحية لأن المبشرين كانوا يغرون الأولاد بالحلوى، والقس الفرنسي ينطق الكلمات الإفريقية بطريقة خاطئة تقلب معانيها إلى البذاءة في بعض الأحيان، وحين التحق توندي بالكنيسة –بإغراء الحلوى- وصار خادما للكاهن، راح يعاكس الفتيات البيض أثناء القداس، بل إن مأمور السجن يعتقد أن السجناء السود يحبون السجن، ويجدون في حياته ونظامه "الإنساني" متعة، حتى إنهم لا يفكرون في الإفراج، بل إن الذين ماتوا منهم في السجن فعلوا ذلك وهم سعداء، وعلى هذا النحو تمضي ذكريات توندي وصوره التي تتراكم بذكاء." 37

وتزداد إثارة الضحك في رواية "الزنجي العجوز والوسام **La vieux negre et La medaille**)، فميكا فلاح عجوز ساذج، قررت السلطات الاستعمارية أن تكفائه بوسام نظير "ولائه" غير العادي لفرنسا، فقد قدم ولديه ليموتا من أجل فرنسا على جبهات القتال الأوروبية أثناء الحرب، ووهب معظم أرضه لإرساله التبشير، فلما حل يوم الوسام أوقفوه مدة طويلة في الشمس حتى هدّه التعب، ولم يعد يفكر إلا في الشراب، وما إن تسلم الوسام في النهاية حتى انطلق لإطفاء ظمئه، وعند عودته إلى داره، يكون الشراب قد نال منه، فراح يترنح حتى أضاع الوسام، وأثار اشتباه الشرطة فقبضت عليه، وفي السجن يبدأ في الوعي بالمأساة، ويتغير رأيه في أوروبا، ويزداد إيمانا بمعتقداته التقليدية، ولكنه لا ينهزم مثل توندي، وإنما ينتهي إلى وعيه الجديد وكفره بالحضارة الأوروبية" 38

إن جدلية الانتماء والاغتراب شكلت أهم المحاور التي تضمنتها الرواية الإفريقية منذ بداياتها الأولى، حتى يمكننا القول أن هذا الهاجس لا يزال محط الكتابات السردية غاية اليوم، لأنها قضية شعبية عرقية، لم يفصل فيها حد الآن، فمازال الكاتب الإفريقي اليوم يدافع عن هويته الزنجية ويسعى إلى إثبات جذوره الإفريقية وكينونته البشرية، يحاول جاهدا تجاوز صفة العبودية الناتجة عن لونه الأسود وهي لصيقة ماضيه وحاضره، لا يزال الشعب الإفريقي يشعر بالاغتراب داخل وطنه وهو غريب خارجه، يدافع عن انتمائه للسمراء لكنه يجد صعوبة في انتمائه لها، يريد الإفريقي اليوم تقديم إثبات للعالم بأسره بأنه كائن بشري حي كغيره من البشر، يجاهد كي يجد دليلا على أن ما من سياسة أو دين أو ثقافة شرعت في يوم ما أن الأبيض سيد والأسود عبده....

خاتمة :

لعلنا لمسنا خلال هذه الدراسة أن الأدب الإفريقي أدب غيب لقرون عدة، لكنه كان يقاوم حتى يؤسس لحضارته وتاريخه الزمن، ومهما تنوعت أشكاله داخل اللغات الأوروبية التي فُرضت على الكاتب الإفريقي، لكنه روض اللغة الوافدة إليه ليرتبط بالقضايا الوطنية وأصبحا سلاحا فعالا من أسلحة المقامة والنضال.

يمكننا أيضا إعادة النظر في جدلية الانتماء والاغتراب وفق رؤية معاكسة لما تداولته الدراسات

السابقة في هذا المجال، حيث باستطاعتنا إعطاءها مجالا أوسع من منظور الاختلاف، ودراستها من جانب الفكر الحضاري والثقافي للإنسان خاصة الإفريقي، وسلطة الأيديولوجيات الاستعمارية وما عرضه ادوارد سعيد في كتابه حول الشعوب المستعمرة.

نتج عن السياسات الاستعمارية هامشيةُ الأسود ومركزية الأبيض باختلاف أنواعها ومجالاتها، كان أهمها المركزية العرقية وفيها حاول الأسود أن يكون أبيض طمعا منه في التخلص من الصورة التي رسمها له الأبيض وبرمجها له لقرون من الزمن، ثم تعدى ذلك إلى علاقة أخرى مع الآخر أيضا صار فيها الأسود تابعا للأبيض يسير على الطريق الذي عبدته أوروبا للمتوهمين بالحرية دون غيرهم.

كان عصر الثقافة أفلاطوني الشكل إقطاعي المضمون، ولهذا كان العنف الذي تحدث عنه فانون نتيجة حتمية لعلاقة المتضادين، وهو ما أدى إلى ظهور فلسفة جديدة على يد بعض الزنوج تنادي بالتعصب للسواد، فصار الأسود يصنع لنفسه كيانه الخاص وبذلك تحطمت أسطورة الأبيض التي آمن بها العالم لحقبة ليست بالقصيرة .

لا يمكن أن ننكر أن ذلك التعصب للعرق الزنجي الذي كسر الصورة المقدسة للأبيض جعل إنسان أوروبا يعيد النظر في معاملته للإفريقي ويتنبه إلى حجم الظلم الذي عانت منه أجيال من الزنوج عبر التاريخ.

إنه وفي ختام بحثنا نستطيع أن نقول أن الرواية الإفريقية والكاتب الإفريقي بشكل خاص استطاع أن يصور واقع إفريقيا العرقي كما ساهم في تأريخ جانب من مشاعر السود اتجاه ما عانوه وما يعانونه إلى يومنا الحاضر .

الإحالات:

1. وولي سوينكا: الكاتب في الدول الإفريقية، لندن، 1967، ص 18
2. حاج أبا آدم الحاج: دور الأدب الإفريقي ي التحرر الوطني، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، د.ت، ص 14.
3. علي الشدوي: سماء فوق إفريقيا، منشورات الانتشار العربي، ط1، 2007، ص 33.
4. زهير بختي دحمور: في الرواية الإفريقية تجليات العرقية في الأدب الروائي الإفريقي، منشورات زخة الشهب الإلكتروني، 2021، ص 85
5. ينظر ادوارد سعيد خيانة المثقفين، النصوص الأخيرة، ترجمة، أسعد الحسين، دار نينوى، للدراسات والنشر والتوزيع، د.ط، 2011، ص 50
6. جيمس نجوجي: لا تبك يا ولدي، ص 77
7. المرجع نفسه، ص 40-41.
8. زهير بختي دحمور: في الرواية الإفريقية، نقلا عن بيتر أبراهمز، فتى المنجم، ص 91-93.
9. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
10. ينظر محمد عابد الجابري: العروبة والإسلامية والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، سبتمبر 2012، ص 124.
11. نعيم قداح: حضارة الإسلامية وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ص 73.
12. جيمس نجوجي: لا تبك يا ولدي ص 201.
13. ادوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراق، ص 65.
14. يتظر ادوارد سعيد: الآلهة التي تفشل دائما، تر، حسام الدين خضور، التكوين للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 2003، ص 61.
15. زهير بختي دحمور: في الرواية الإفريقية، ص 87
16. جيمس نجوجي: لا تبك يا ولدي، ص 42.
17. بيتر أبراهامز: فتى المنجم، ص 217.
18. ينظر غابرييل أوكارا: الصوت، ص 76-77.
19. ينظر فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص 156.
20. ينظر بيتر أبراهامز: فتى المنجم، ص 45.
21. فرانز فانون: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ص 93-94.
22. -22 ألبير مامي: صورة المستعمر، تر ميشال سطوف، منشورات ANEP الجزائر، د.ط، 2007، ص 125.
23. بيتر أبراهامز: فتى المنجم، ص 25.
24. علي شلش: الأدب الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 112، مارس 1993، ص 137
25. المرجع نفسه: ص 136
26. علي شلش: الأدب الإفريقي، ص 137.
27. المرجع نفسه، ص 137
28. المرجع نفسه، ص 138.
29. المرجع نفسه، ص 138
30. المرجع نفسه، ص139.
31. المرجع نفسه، ص 140.
32. علي شلش : الأدب الإفريقي نقلا عن. **Ibid., p. 248**
33. علي شلش: الأدب الإفريقي: ص نقلا عن 146 **Dathorne, op. Cit.p. 285..**
34. المرجع نفسه والصفحة نفسها.
35. المرجع نفسه، ص 146
36. المرجع نفسه، ص 147.
37. المرجع نفسه، ص 148.

قائمة المصادر والمراجع:

1. وولي سوينكا: الكاتب في الدول الإفريقية، لندن، 1967.
2. محمد عابد الجابري: العروبة والإسلامية والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، سبتمبر 2012.
3. نعيم قداح: حضارة الإسلامية وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية.
4. يتظر ادوارد سعيد: الآلهة التي تفشل دائما، تر، حسام الدين خضور، التكوين للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 2003.
5. حاج أبا آدم الحاج: دور الأدب الإفريقي ي التحرر الوطني، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، د.ت.
6. ألبير مامي: صورة المستعمر، تر ميشال سطوف، منشورات ANEP الجزائر، د.ط، 2007.
7. علي شلش: الأدب الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 112، مارس 1993.
8. علي الشدوي: سماء فوق إفريقيا، منشورات الانتشار العربي، ط1، 2007.
9. علي شلش: الأدب الإفريقي: ص نقلا عن 146 **Dathorne, op. Cit.p. 285**.
10. زهير بختي دحمور: في الرواية الإفريقية تجليات العرقية في الأدب الروائي الإفريقي، منشورات زخة الشهب الإلكتروني، 2021.

10. ادوارد سعيد خيانة المثقفين، النصوص الأخيرة، ترجمة، أسعد الحسين، دار نينوى، للدراسات والنشر والتوزيع، د.ط، 2011.

عنه انه إبداع بمضمون محلي محض، كما انه استمد خصائصه من الفترة الاستعمارية كخاصية المقاومة من اجل استعادة الشخصية والروح الإفريقية، وطرح مشكلة الهوية، التراث، الفقر، الجهل والدين، فاستطاع الأديب الإفريقي إيصال صوته الذي يروي أفكارا مغايرة للخطاب السائد.

يُعتبر الشعر في قارة إفريقيا بتاريخه العظيم أقدم من فنون النثر له مكانة مرموقة في الآداب المكتوبة وغير المكتوبة على السواء. ظهر بين عهدي الاستعمار والاستقلال شعر إفريقي حديث، يدافع عن الزنوجة بأشعار افريقية النكهة والطابع مزيج من اليأس والأمل. فأصبح مصطلح الزنوجة رمزاً للدفاع عن القضية الزنجية والكلمة المرادفة للحرية، كما أنها تعني الحنين إلى الماضي وآمال المستقبل، بعد أن كانت حركة سياسية صرفة، تحولت إلى ثورة ثقافية ركزت أعمالها على مفهوم السواد والعنصرية .

تظهر خصائص الزنوجة في موقف الإنسان الأسود من الآخر الذي يظهر دائما بشخصية المتسلط الغازي العاجز عن كسر روح المقاومة الإفريقية.